واقع المعلم وما نستطيع فعله

كتب/ د. حافظ قاسم القطيبي:

في مفتتح هذا العام الدراسي، تتبادر العديد من التساؤلات من المعلمين والآباء والمهتمين حول العلمية التعليمية والتربوية في مدارسنا: كيف تسير؟ وهل تحقق أهدافها المرسومة؟

هذا المقال في البدء يؤكد معاناة المعلمين وظروفهم القاسية، ثم يناقش ما الذي نستطيع عمله في هذا الوضع بحسب الظروف والإمكانيات المتاحة.

ندرك جميعا واقع المعلم وظروفه القاسية في هذه المرحلة العصيبة، من تدهور في المستوى المعيشي وانعدام الخدمات وغلاء الأسعار الجنوني، وأصبح راتب المعلم الضئيل لا يسد أبسط المتطلبات المعيشية، وضع مأساوي وكارثي نعانيه جميعا وخصوصا موظفي القطاع الحكومي أصحاب الراتب الواحد- كما هو معلوم أن هناك من يستلم أكثر من راتب-.

وفي هذه الظروف القاهرة مع وجود تدمير ممنهج للتعليم الحكومي تجعل المعلم يفقد الكثير من قدراته واهتمامه وأصبح منشغلا بتوفير لقمة العيش.

ومع هذا وفي وسط هذا الواقع المرير يمكن للمعلم الحفاظ على سمعته ومكانته وتسيير العمل ولو بالحد الأدنى انطلاقا من أن رسالة المعلم هي رسالة سامية وأخلاقية في المقام الأول، بمعنى أن يسهم المعلم في الحفاظ على العلمية التربوية والتعليمية ويكون عامل بناء ولا يكون عاملا مساعدا للهدم والخراب.

في العام الماضي أسست بصورة تطوعية مبادرة تجويد التعليم وتنمية الثقافية، نفذنا عددًا من الورشات التدريبية ومحاضرات توعوية، بدأنا العمل في مديرية ردفان، الحقيقة تفاعل معنا مدير التربية بالمديرية ومدير التعليم العام بالمديرية، لكن استجابة بعض مدراء المدارس والمعلمين ليست بالصورة المطلوبة.

نهدف من المبادرة إلى مساعدة المعلمين والمعلمات في الارتقاء بأدائهم التدريسي، نقول للمعلمين والمعلمات مادام وأنت تذهب إلى المدرسة يوميا أو شبه يومي وتؤدي حصصا دراسية، فحاول أن يكون تدريسك جيدا ونافعا، على الأقل يفهم الطالب أساسيات المادة.

لقد انتشرت سلوكيات وظواهر في بعض المدارس تسيء للعملية التعليمية والتربوية وتسيء للمعلم ذاته، ومن هذه الظواهر:

- الكثير من المعلمين والمعلمات غير متمكنين من المادة العلمية التي يدرسونها، ولا يسعون إلى تطوير قدراتهم، مع أننا في عصر تتوفر فيه المعلومات وسهولة التواصل، لذلك نجد الكثيرين يدخل على الطلاب أو الطالبات ويكتب على السبورة أو يقرأ بدون إدراك لأهداف المادة، ويختبر الطلاب في درس أو درسين، وهناك كثير من المعلمين لا يجيدون صياغة الأسئلة ولا يعرفون أهداف المادة ومهاراتها. يحفظ الطلاب الأسئلة القليلة المحددة من المعلم بدون فهم، يحفظ الطالب مثلا جملة إعرابية أو معادلة رياضية أو أي سؤال حفظا آليا وتأتي نفسها في الاختبار أو الامتحان. وهذا الأمر ترتب عليه أمور سلبية كثيرة منها جعل الطلاب والطالبات يلهثون وراء الدرجات المرتفعة، للأسف وهم لا يفهمون المعلومات الأساسية للمادة، وغدت الدرجة العالية هي الغاية للطلاب وكثير من الأسر، وحدثت مشاكل كثيرة في هذا الجانب، فلا يهم ماذا تعلم الطالب، المهم أن يحصل على درجة عالية، وانعدم التنافس الحقيقي بين الطلاب والطالبات وانعدم التمييز بين المتفوق الحقيقي والزائف وكثرت المجاملات، هذا كله بسبب المعلم الضعيف أو الفاسد.

- بعض المدارس تعتمد على ما يسمى المدرسين أو المعلمات البدائل، ومشكلة هؤلاء أنه يتم اختيارهم بدون تمحيص وتدقيق علمي وسلوكي، يتم عن طريق المجاملات وبعض المدارس تختار أضعف المستويات، لكي تستطيع الإدارة تمرير ما تريد فالضعيف يمرر للإدارة المدرسية ما تريد ونعني عندما تكون الإدارة فاسدة.

- عندما تزور مدرسة تجد بعض الصفوف وكأنك في السوق، وللأسف أن المعلم أو المعلمة موجود في الصف يؤدي حصة، معلم ضعيف أو معلمة ضعيفة لا تستطيع ضبط الصف، هذا التراخي من بعض المعلمين أو المعلمات أثر على المعلمين الجيدين الذين يريدون تدريس حقيقي، فالطلاب تعودوا على سلوكيات سلبية في الصف

وعندما يحاول المعلم الجيد تعليمهم الانضباط يصبح بنظرهم غير جيد، وبحسب التعبير الشائع: ما يخليهم براحتهم.

- بعض الإدارات المدرسية لا تعي وظيفة المدرسة ودورها في تنشئة الطلاب والطالبات، لذلك تجدها تحرص على الأمور المالية والجبايات والاستحواذ على العمل في المنظمات، ومن المؤلم أن تتحول المدرسة إلى وكر للفساد.. وانعدم أي دور إرشادي أو توجيهي فتسربت كثير من السلوكيات في صفوف الطلاب والطالبات: مشاكل حادة وشجارات بين الطلاب تصل إلى إسالة الدماء، المكائد في صفوف الطالبات، وانتشار اللباس الضاغط الذي يبرز مفاتن الطالبة وغير ذلك. وتتذرع بعض الإدارات المدرسية بسلبية بعض الأسر، وهذا ليس مبررا للمدرسة للتنصل من واجبها، صحيح أن واجب الأسرة متابعة أبنائها لكن للمدرسة الدور الرئيس في تهذيب السلوك والتربية على القيم والفضائل وعدم السماح بأي مظهر يخل بالسلوك اللائق في المدرسة.

- في بعض المدارس تحولت إلى مناكفات وجدل بين المعلمين أنفسهم وانعدم الجانب التعليمي والتربوي.

- انتشار الحفلات والاحتفالات الخالية من أي قيمة علمية أو تربوية، وبعض الأحيان تتحول كأنك في صالة أعراس، وبعض المعلمات تفرض على الطالبات حفلات تكلف الكثير من المال في ظل الظروف القاسية للكثير من الأسر..

هذه بعض الظواهر يجب محاصرتها بتعاون الإدارة التربوية والمجتمع، فالمجتمع يجب أن يختار مجلس آباء فاعل حريص على العمل التربوي والتعليمي، هناك مجالس آباء شكلية ليس لها أي دور في متابعة ما يجري في المدرسة وللأسف بعضها لها دور سلبي.

في هذه الظروف يجب أن نحافظ على الحد الأدنى من هيبة العمل التربوي والتعليمي ولا نسمح بالمظاهر الدخيلة أن تستشري في المدارس.

إن للمدرسة دورا كبيرا في بناء المجتمعات وإعداد الأفراد للحياة، وغرس القيم والأخلاق الفاضلة في نفوس الطلاب وسلوكهم ويجب أن تكون المدرسة بإدارتها ومعلميها قدوة للطلاب. لقد غدت وظيفة المدرسة الحديثة تهتم بتعليم الطلاب مهارات التفكير العليا والحوار وإبراز المواهب والتدرب على التقنيات الحديثة ونحن في مدارسنا لم نستطع القيام بالوظيفة الأولية للمدرسة.

وللمعلم دور كبير وله مكانة في نفوس طلابه في الحاضر والمستقبل فيجب أن يكون قدوة حسنة يتمتع بالصدق والأمانة والجدية والعدل والإنصاف.

وأختم المقال بقول لأحد المفكرين، يقول: يظن بعض الناس أن المنهج هو الكتاب الجيد، المنهج ليس هو المكتوب في الكتب، بل هو أشمل وأعم، أنه كل الخبرات والسلوكيات التي تقدمها المدرسة. كما يظن البعض أن المنهج أن نختار كتابا جيدا ونقدمه للطلاب، بل يجب أن نختار مدرسا جيدا، لأن المدرس عندما يدرّس ويغلق باب الفصل على الطلاب، إما أن يرتقي بالطلاب وتفكيرهم وإما أن يجهلهم.

وفي الأخير نوجه تحية لكل معلم ومعلمة يؤدي عمله بحرص وأمانة في هذه الظروف الصعبة.-

جامعة عدن.. سياسات هدامة أدت إلى الانتكاسة

كتب/ أ. د. فضل الربيعي :

جميعنا يعلم مخرجات جامعة عدن وما حققته من سمعة خلال العقود الثلاثة العقود الأولى من تأسيسها في مطلع سبعينيات القرن الماضي.

حيث مثلت كلية الطب - على سبيل المثال - درة ثمينة عرفت من مخرجاتها النوعية، حتى إن كل جامعات الوطن العربي والخليج تلقفت العديد من خريجيها وفتحت لهم المجال واسعًا لاستيعابهم لديها وتأهيلهم في المستويات العليا، نظرا للسمعة الطيبة التي كانت تتحلى بها الكلية وطاقمها التدريسي، وكذلك كلية التكنولوجيا (الهندسة) حاليا، وغيرها من كليات جامعة عدن.

وبدلا من أن تشهد الجامعة تطورًا متصاعدًا لمخرجاتها والحفاظ على مستواها وسمعتها، والالتزام بالمعايير العلمية السائدة في مجال التعليم الجامعي، إلا أن ما حدث كان العكس، حيث تراجعت تلك السمعة وتدحرجت إلى انحدار ما زال مستمرًا

إلى مستوى يبعث على القلق المخيف، ومعروف أن نهضة أي أمة من الأمم تبدأ من الاهتمام في التعليم ومراكز البحث العلمي ومنها الجامعات والمعاهد العليا والتطبيقية، حيث تمثل الجامعات في كل بلدان العالم مصدراً مهماً لإنتاج المعرفة وصياغة الوعي الجمعي والرؤى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. بل وتقدم الحلول المعالجات المناسبة للقضايا والمشكلات التي تواجهها المجتمعات عبر دراستها بصورة علمية ومنهجية أكاديمية رصينة ومن ثم تقدم المقترحات العملية لمعالجة القضايا والمشاكل يستفاد منها صانعي القرار بهدف احداث عملية التغير والنهوض بالمجتمع ومواجهة التحديات.

المؤسف جدا وضع الجامعة في بلادنا، لقد تخلفت كثيرا عن مهامها الحقيقية، ويعود هذا التخلف إلى جملة من العوامل والأسباب نذكر منها الآتي:

-1 المؤسسة الجامعية في بلادنا ظلت خاضعة خانعه تابعة للمؤسسة السياسية «الحاكمة" التي تديرها وتوجهها وفق سياساتها الهدامة.

-2 لم يفسح المجال للأستاذ الجامعي الناقد المرتبط بالواقع لاسيما إذا كان يحمل رؤى أكثر تجذراً في الهم الاجتماعي العام، فهو غير مرغوب به بل يتعرض لكثير من ممارسات التطفيش والتهميش.

-3 انشغلت الجامعة في مهام أخرى غير مهامها كانشغالها في الخطاب الأيديولوجي والعمل الحزبي وذلك على حساب العمل الأكاديمي، حيث تقيم عددا من الفعاليات والأنشطة الجامعية الشكلية الخاوية من مضامينها الاجتماعية والخالية من طرح الأفكار العملية الإبداعية، وتقتصر على الصياغة الشكلية عديمة الفائدة.

-4 لم تهتم بمهمتها الثانية وهي البحث العلمي، حيث لم تشجع على روح التحلي بالصراحة والشجاعة العلمية، في بحث الموضوعات والقضايا المثارة في المجتمع، بحسب ما هو مأمول منها وفق الدور والمكانة المناطة بالجامعة وبالأستاذ الأكاديمي.

-5 انحصر اهتمام الأستاذ الجامعي على مسألة الارتقاء بمستوى السيرة الذاتية (c.v) واتجه بتقديم بحوث مكتبية بعيدا عن تناول القضايا والمشكلات التي يواجهها المجتمع وتقديم أبحاث تقليدية بصرف النظر عما سيقدمه من مادة فكرية. لأن هذه السيرة تساعده في الترقية العلمية للارتقاء في المناصب الأكاديمية التي توفر له مكانة أكثر رمزية داخل المؤسسة الأكاديمية أو خارجها.

-6 انتشار ظاهرة الفساد الإداري والمالي في المؤسسة الجامعية بصورة مخيفة جدًا تركز العمل فيها على الربح والحصول على الامتيازات والمادة على حساب التوقعات العلمية والوظيفية المطلوبة منها، مثل الاهتمام بالتعليم الموازي أو النفقة الخاصة والسنة التحضيرية وأخيرا ابتدع ما سمي بالدراسة عن بُعد، كل ذلك هدفه في المقام الأول الحصول على المال، وقد انعكس ذلك سلباً على مستوى الأداء الأكاديمي وتراجع مستويات الطلاب في الجامعة وضعف المعلومات المرتبطة بالتخصصات العلمية.

-7 لم تخضع مسألة التوظيف والتعيين في الجامعة للمعايير العلمية التي ينبغي أن تسود فيها كبقية جامعات العالم المتطورة، بل خضعت التعيينات القيادية والتوظيف فيها إلى معايير غير علمية كالانتماءات الحزبية والمناطقية والقبلية.